أفسدوا نفوس الأمم على الإخوة

لما اغتاظ اليهود غير المؤمنين في إيقونية من بولس وبرنابا الرسولين "غروا وأفسدوا نفوس الأمم على الإخوة" (أع١٤: ٢) مما أدى إلى انشقاق جمهور المدينة وتخطيط اليهود للهجوم على الرسولين ورجمهما مما اضطرهما إلى الهروب. والحقيقة أن عملية **"إفساد النفوس"** من جهة شخص أو جماعة ما هي خطية قديمة إلا أنها صارت شائعة جداً في هذا الزمان. ولعل السبب في ذلك هو مواقع التواصل الاجتماعي التي باتت وسيطاً سهلاً إما لفضح أشخاص من جهة ضعفات حقيقية لديهم، أو لبث افتراءات وأكاذيب عنهم مما يؤدي في النهاية إلى إفساد صورتهم لدى الآخرين.

وليست قصة بولس وبرنابا هي القصة الوحيدة في الكتاب المقدس على هذه الخطية. فقد أتى يوسف بنميمة إخوته الرديئة إلى يعقوب أبيهم، وزوجة فوطيفار أفسدت نفس زوجها من جهة يوسف بافتراءاتها عليه فألقاه في السجن، والجواسيس العشرة الذين أرسلهم موسى لتجسس أرض الموعد عادوا وهيجوا بني إسرائيل على موسى وهارون فأرادوا رجمهما، وأبشالوم كان يفسد نفوس الشعب من جهة داود أبيه، بل وأن عدو الخير نفسه يشتكي علينا ليلاً ونهاراً محاولاً بلا طائل إفساد نفس الله من جهة أبنائه كما فعل من جهة أيوب.

والأمثلة العملية في حياتنا اليومية كثيرة. فقد تفسد أم نفس ابنها من جهة زوجته أو العكس، وقد يفسد أحد الخدام نفس الكاهن من جهة أمين الخدمة، أو يفسد أمين الخدمة نفس الخدام والشعب من جهة الكاهن وما إلى ذلك من مواقف الشحن والتهييج والتسميم ضد شخص ما أو مؤسسة أو جماعة ما. والحقيقة أن تلك الخطية هي خطية مركبة إذ قد تحمل في طياتها حقداً، وحسداً، ونميمة، ومذمة، ووقيعة، وتحزباً، وغضباً، وانتقاماً، وكذباً، وافتراءً، ورياءً، ونفاقاً، وكبرياءً، وعدم أمانة، وعدم محبة. إنها خطيئة ديوتريفوس الذي وصفه القديس يوحنا قائلاً: "ولكن ديوتريفوس الذي يحب أن يكون الأول بينهم لا يقبلنا من أجل ذلك إذا جئت فسأذكره بأعماله التي يعملها هاذراً علينا بأقوال خبيثة" (٣يو ٩-١٠).

والأمر المرعب من جهة تلك الخطية المركبة التي يستهين بها الكثيرون أن بولس الرسول يعتبرها من علامات الذهن المرفوض الذي يستوجب أصحابه الموت: "وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق. مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث، مشحونين حسدا وقتلا وخصاما ومكرا وسوءا، نمامين مفترين، مبغضين لله، ثالبين متعظمين مدعين، مبتدعين شرورا، غير طائعين للوالدين، بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة. الذين إذ عرفوا حكم الله أن الذين يعملون مثل هذه يستوجبون الموت، لا يفعلونها فقط، بل أيضا يسرون بالذين يعملون" (رو١: ٢٨-٣٢).

ليتنا ننتبه إذاً جميعنا منصتين إلى قول الحكيم: "مشيع المذمة هو جاهل" (أم١٠:١٨) ولقول السيد المسيح: "فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم" (مت٧:١٢)